مجتمع الشفافية ومجتمع المراقبة في الفكر السياسي لميشيل فوكو وبيونغ تشول هان: دراسة مقارنة

م . م . اسراء عبد الأمير احمد
جامعة بغداد / كلية القانون
israa.abd1101 b@copolicy.uobaghdad.edu.iq

الملخص : يحاول هذا البحث فهم كيف تغيير شكل السلطة و المراقبة في المجتمعات الحديثة من خلال المقارنة بين أفكار فيلسوفين مهمين : ميشيل فوكو وبيونغ تشول هان ، فوكو تحدث عن مجتمع المراقبة حيث تراقب الدولة والمؤسسات السلطوية تراقب الافراد بشكل مباشر بصورة صلبة من خلال السجون و المدارس و المستشفيات ، اما الفيلسوف تشول هان يرى السلطة اليوم لا تحتاج الى مراقبة مباشرة خارجية ، انما نحن من نقوم بمراقبة انفسنا من خلال وسائل التواصل والانكشاف الدائم امامها ، لذلك يقارن هذا البحث بين شكلين للسلطة : الأول يعتمد على القمع و المراقبة الصارمة و الثانية سلطة شفافة سائلة نقوم فيها بمراقبة انفسنا بأنفسنا انها مراقبة ناعمة شفافة سائلة ، كما غيرت التكنولوجيا الحديثة طريقة فهمنا للحرية والخصوصية ، وكيف أصبحت الشفافية وسيلة للهيمنة بدل ان تكون ضمانا للديمقراطية

الكلمات المفتاحية: (مجتمع الشفافية، الانضباط، ومجتمع المراقبة، مجتمع الإيجابية، الخصوصية ، المراقبة الناعمة)

The Society of Transparency and The Society of Surveillance in The Political Thought of Michel Foucault and Byung-chul Han :

A comparative Study

Assistant teacher Israa Abdul-Amir Ahmed
University of Baghdad / College of Law
israa.abd1101 b@copolicy.uobaghdad.edu.iq

Abstract

The research attempts to understand how the form of power and surveillance has changed in modern societies by compering the ideas of two important philosophers: Michel Foucault and Byung -chul Han , Foucault spoke about a surveillance society in which the state and its institutions monitor individuals directly and in a strict disciplinary manner . in contrast , Han believes that we have reached a stage where we monitor ourselves through communication tools and constant self-exposure , therefore, this study compares two models of power : the first relies on repression and strict surveillance , while the second exercises a subtle and voluntary authority , where individuals watch themselves as parts of a broader system of transparency. Its also discusses how modern technologies have changed the way we understand freedom and how transparency has become a tool of domination rather than a guarantee of democracy.

Keywords : Transparency society, Positivity society , Surveillance society , Discipline , Privacy , Soft surveillance .

المقدمة

في ظل التحولات المختلفة التي يعيشها الانسان المعاصر تتنامى مفارقة عميقة قائمة على ان : في الوقت الذي يبدو العالم فيه اكثر شفافية وانفتاح وضوح تتقاطع مع هذه الرؤية وتتخفى خلفها أنماط جديدة من والسيطرة الرقابة مستخدمة واجهات التواصل والتقنية ، حيث ان السلطة لم تعد مركزة ومرئية كما هو معلوم في الأنظمة الكلاسيكية ، أصبحت

السلطة العامة الحالية ناعمة خفية وذاتية منتشرة في الداخل ، سلطة تمارس من الداخل لا من الخارج ، من خلال شبكة الحياة المختلفة من لغة وعلاقات اجتماعية وسلطة ، شكل ميشيل فوكو منعطف فكريا / سياسيا ، حيث بين ان السلطة في المجتمعات الحديثة لم تعد تمارس عبر أدوات القمع فقط ولكنها متجسدة في الآليات المراقبة الدائمة التي تعمل على إعادة تشكيل الأفراد وتضبط سلوكهم وتسهم في اخضاع الذات ، في المقابل يعلن بيونغ تشول هان ان العصر التقني الرقمي لم يلغي السلطة فقد حولها الى سلطة اكثر انسيابية وشفافية وإعادة انتاج للسلطة من خلال اغراءات الظهور و المكاشفة والمشاركة للخصوصية المطلقة ، من هذا المنطلق تنطلق البحث للتعريف بمفهوم المراقبة والشفافية عند فوكو وبيونغ هان في ضوء ما يطرحه كل منها لطبيعة السلطة والذات والعلاقات الاجتماعية والسياسية والفكرية في الحداثة القائمة ومحاولة للتفكيك المتماثلات و الفروقات للفكرتين .

إشكالية البحث: يتمحور البحث على إشكالية مركزية كيف تمظهرت مفاهيم مجتمع المراقبة ومجتمع الشفافية في الفكر السياسي لكل من ميشيل فوكو وبيونغ تشول هان ومن خلال معرفة أوجه التقاطع والاختلاف بين رؤيتهما في تحليل السلطة وآلياتها الحديثة في تحليل السلطة والحرية في المجتمعات المعاصرة ؟

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها ان على الرغم من ما يرفعه المجتمع المعاصر من شعارات الشفافية و الانفتاح والحرية لكنه لا يعيش تحررا حقيقيا من المراقبة ، انه يعيش تحولا في آليات السلطة من القمع الخارجي الى الرقابة الداخلية ذاتية اكثر فعالية وسرية ، وان ما طرحه ميشيل فوكو حول مجتمع المراقبة لا يتناقض بنيويا مع رؤية بيونغ تشول هان لمجتمع الشفافية ، لكنه استمرار و تحول في شكل السلطة لمجتمع المراقبة حيث أصبحت الشفافية أداة

حديثة للضبط الاجتماعي وتمارس من خلال الرغبة في المشاركة الدائمة والكشف عن الخصوصية ، أي ان الشفافية في فكر بيونغ هان ليس نقيض للمراقبة وان كانت هناك تفاوت ، لكنها امتداد ناعم لها وإعادة انتاج للسلطة للهيمنة بأساليب داخلية ناعمة من شكل الى اخر بشكل ابسط هنالك نقاط التقاء في التشخيص ولكن اختلافا في طبيعة السلطة وآلياتها.

اهداف البحث

يهدف البحث الى:

١- فهم كيف تغيير اشكال السلطة في العصر الرهن من سلطة تراقبنا من الخارج (سلطة ظاهرية صلبة واضحة) الى سلطة تراقبنا من الداخل (سلطة داخلية سرية سائلة) دون ان نشعر بها.

٢- محاولة الاقتراب من الانسان المعاصر الذي يعيش بين الخوف من المراقبة ورغبة الظهور وكيف تؤثر هذه الازدواجية على وعيه بذاته وحريته.

٣- العمل على بناء حوار فكري بين الرؤيتين الفلسفيتين – فوكو وبيونغ هان، يساعدنا هذا العمل على قراءة الواقع المعاصر وإذا كنا فعلا أحرارا ام مراقبين بطريقة او أخرى.

٤- المساهمة في بناء وعي نقدي يعمل على مساءلة النظم الاجتماعية الرقمية الموجودة في بينا من اجل العمل الاستعادة القدرة على الاختيار والاحتفاظ بجزء من ذاته لنفسه.

منهجية البحث : في هذه البحث حاولنا أن نفهم كيف تغيرت طرق السيطرة على الناس في المجتمعات الحديثة من خلال مقارنة أفكار المفكرين ميشيل فوكو وبيونغ هان باعتماد المنهج التحليلي المقارن و بوضع أفكارهم موضع المقارنة وكيف تناول كل منهما الطريقة التي تمارس السلطة نفوذها فيه في العصر الراهن

وضمن سياقاتها الزمنية التي نشأت فيها و المنهج التحليل التأويلي / التفكيك/ الفلسفي ، لان الكثير من افكارهما ذات طابع فلسفي تتطلب قراءة تأويلية تحليلية للنصوص .

هيكلية البحث : ستناول في هذه البحث في المبحث الأول الإطار النظري والمفاهيمي، الذي يتكون من المطلب الأول مفهوم مجتمع المراقبة عند ميشيل فوكو والمطلب الثاني مفهوم مجتمع الشفافية عند بيونغ تشول هان، والمبحث الثاني: التصورات النظرية للمقارنة بين المجتمعين والتحولات الاجتماعية الناتجة عنها، المطلب الأول، المقارنة الفكرية بين مجتمع الشفافية ومجتمع المراقبة المطلب الثاني: التأثيرات والسياسية الاجتماعية الناتجة لمجتمع الشفافية و المراقبة ، المبحث الثالث: تأثير مجتمع المراقبة والشفافية على الحقوق والحريات و تأثير مجتمع الشفافية والمراقبة على حق الخصوصية.

المبحث الأول: الإطار النظري والمفاهيمي للمجتمع المراقبة والشفافية في الفكر السياسي المعاصر

تبرز أهمية الإطار النظري في تحديد الحاجة الى تحديد دقيق للمفاهيم الأساس والخلفيات النظرية التي تولدت عنها، فكل من الشفافية والمراقبة لم يعودا مجرد مصطلحين متداولين في الخطاب السياسي ولكنه اصبح تحولا الى مفاتيح تحليلية لفهم التحولات العميقة التي طرأت على بنية السلطة والعلاقات الاجتماعية وشكلت الوعي الفردي والجماعي يسعى هذا الإطار الى تأصيل المفهومين في سياقهما المفاهيمي و النظري.

المطلب الأول: مفهوم مجتمع المراقبة عند ميشيل فوكو

يعتبر مفهوم المراقبة بشكل عام (Surveillance) من المفاهيم الجوهرية في تحليل العلاقة بين السلطة و المجتمع يرجع مفهوم المراقبة للغويا الى الجذر الفرنسي (surveiller) المشتق من الكلمة اللاتينية super (فوق) , vigilav (يراقب) فالعلاقة علاقة بين الر اصد او المرصود والمُرَاقب والمرِاقب . (etymology 2001) يعد ميشيل فوكو من ابرز المفكرين الذين عادوا تعريف مفهوم السلطة في العصر الحديث حيث تجاوز التصورات التقليدية التي تربط السلطة بالقمع المباشر مقدم بذلك تصور اكثر ديناميكية وتركيبا في خضم مساءلة نقدية للمؤسسات الانضباطية الحديثة السجن ، المدرسة ،المستشفى، الشرطة والتي تشكلت في سياقها التاريخي منذ نهاية القرن الثامن و صعود الدولة الرأسمالية الصناعية الحديثة ، طرح فوكو مفهوم مجتمع المراقبة بوصفه نموذجا للسلطة الانضباطية ، التي مرت بتغيرات كبرى حتى وصلت الى اشكالها الأخيرة فكل عصر كان يحمل ميكانيزم التحول مختلفة عن الأخرى أصبحت هذه السلطة الانضباطية داخلية غير مرئية بعد ان كانت مرئية " هذه السلطة لكي تمارس نفسها ، يجب ان توفر لنفسها أداة الإشراف الدائم ، الدقيق الشامل ، الكلي الحضور الأداة القادرة على جعل كل شي تحت الرؤية ، انما شرط ان تجعل نفسها وذاتها غير مرئية " (فوكو ١٩٩٠، ٢٢٠)

ان هذه السلطة الرقابية لا تعتمد على القوة الظاهرة بقدر ما تعتمد على التحكم الدقيق في الأجساد و العقول من خلال الاليات متسلسلة ومنظمة من المراقبة و الانضباط ، ويستلهم فوكو من التصميم الهندسي لسجن الذي ابتكره جيرمي بنثام كنموذج رمزي للمراقبة ، وسيلة حديثة رئيسة للتحكم والسيطرة بواسطة منع الحركة بين المساجين وتشجيع المراقبين علها وكان باهظ الثمن والغرض منه هو تيسير التحكم عبر ترتيب شبه دائري بحيث يستطيع المراقب في

مركز الدائرة ان يرى كل ما يحدث ما يحدث في الزنزانة دون ان يشاهده السجناء. (ليون ٢٠١٧، ٢٨)

السلطة عند فوكو كانت تمارس العقوبة المباشرة على الجسد التعذيب الجسدي بأدوات التعذيب المادية البدائية وبشروطه منها علنية التعذيب الى تلطيف العقوبات والانتقال الى مستوى اخرمن أنظمة الوعي والمعرفة بظهور السجن كمؤسسة عقابية متولده معها وأليا‌تها الانضباطية الإصلاحية.

(فوكو ١٩٩٠، ٤٥)

وهذا الانتقال من افرازات الحداثة التي انتجت ما اسماه فوكو بالمجتمع الانضباطي السلطة تمارس فيه بواسطة المراقبة الدقيقة والتقنيات الانضباطية بدخال أنماط جديدة للتقويم والتحكم و الانضباط على منظومة الحياة وهذا ما اسماه (Biopolitical) احدى الظواهر الأساسية في القرن التاسع عشر اهتمام السلطة بالإنسان بوصفه كائنا حيا ، وما يسميها بـ (الدولنه للبيولوجيا) هذه التكنولوجيا الجديدة للسلطة الحيوية تعتمد على مجموعة من العمليات و الإجراءات مثل نسبة الولادة والوفاة وطول العمر تقليل الموت وأطالت عمر الافراد، الدولة لها حق الاماتة والإحياء بعد ان كان من حق الملك ، يرى فوكو بانه هناك تكنولوجيتان متراكبتين للسلطة التكنلوجيا المنظمة للحياة والتكنلوجيا الانضباطية للأجساد ، تقنية انضباطية مركزة على الجسد وتحرك الجسد بوصفه مجالا للقوة وتحوله الى جسد مطيع مفيد وتقنية مركزة على الحياة تكنلوجيا خاصة بالسكان تبحث عن التوازن العام والعمليات البيولوجية للسكان .

(فوكو ٢٠٠٣، ٢٣٣)

وفقا لفوكو سنوضح هذه الرؤية وفقا للمخطط توضيحي:

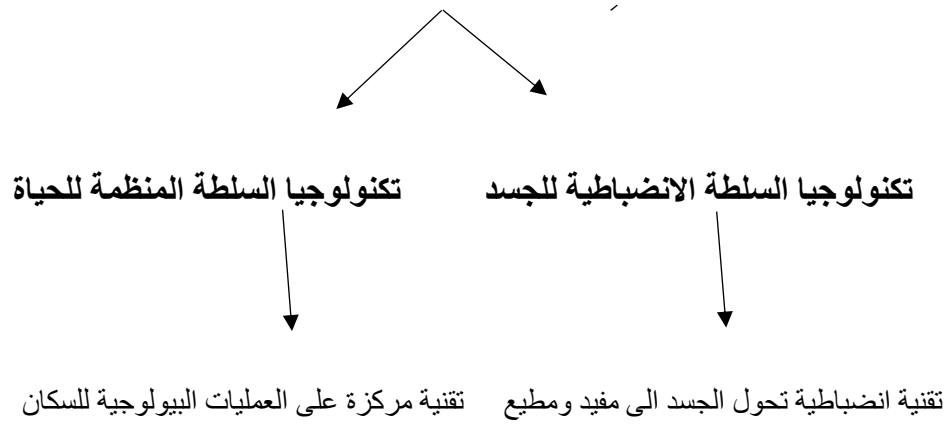

نستنتج مما سبق ان السلطة عند فوكو شبكية محايثة وموزعة في جوانب الحياة المتنوعة من المؤسسات (المدارس والكليات، السجون والمستشفيات ...) وليست عامودية هرمية كما كان في النظرية الكلاسيكية، حيث يرى فوكو ان علاقة السلطة بالمعرفة ليس مستقلة ومحايدة كما هو معروف فالمعرفة تنتج داخل ابنية معرفية سلطوية، فمن يمتلك السلطة يسيطر وينتج المعرفة (ان الحقيقة ليست خارج السلطة ولا مجردة من السلطة ولكل مجتمع نظام معرفي خاص به). (فوكو ، ١٩٩٤، ٤٣) هذه المؤسسات لا تقوم بدور اداري فقط بل تنتج أنماط معرفية تسهم في تشكيل الذوات وضبطها. وهذه العلاقة بين السلطة والمعرفة يسميها (السلطة المعرفية)، ان السلطة عند فوكو متغلغلة ودقيقة وتمارس عبر ما يسميه بالميكرو- سلطات، حيث تكون سلطة تكون مقاومة " حيث تقوم

السلطة تكونه المقاومة ونقط المقاومة حاضرة في كل مكان من شبكة السلطة ". (فوكو ، ١٩٩٤، ٦٧)

هذا لا يعني ان المقاومة تأتي من خارج السلطة او تواجهه من موقع خارجي بل ان المقاومة نتشا داخل نفس الشبكات والعلاقات التي تنتج السلطة ، ان مفهوم المراقبة الذي طرحه فوكو شهد تطور عند زيجمونت باومان في عصر الحداثة المائعة اوما بعد الحداثة حيث المراقبة احد الابعاد المركزية للحداثة السائلة ويرى انها تلين في العالم الاستهلاكي ، حيث الحداثة السائلة تؤطر المراقبة بطرق جديدة ، في مجتمع التحكم الذي تنمو فيه المراقبة المتمثلة ب في الحداثة الصلبة كما طرحه فوكو بعد ان كان على المراقبين ان يكون حاضرين ، اصبح في عالم ما بعد لا حاجة لهم للمراقبة بالاعتماد على أدوات التحكم التكنلوجي الالكتروني دون الحاجة للمراقبين حيث المراقبة تكون مراقبة سائلة ، وتمتاز الحداثة السائلة ذوبان الاشكال الاجتماعية و انفصال السلطة والسياسية وهاتان السمتان تتناغمان مع المراقبة.

(باومان ٢٠١٧، ٢٥-٣٠)

بناءا على ما سبق ان مفهوم المراقبة عند مفكرين اخرين يخذ بعداً اكثر دقة واعمق من فوكو و زيجمونت عند جيل دولوز وفيليكس غوتاري للتحليل الميكروي للصيرورة الإنسانية في انطولوجيا ما بعد إنسانية في انطولوجيا التشابكية ، حيث يران ان المراقبة في حالة من التعددية او ما يسميها بـ (التجميعات الرقابية او مجموعة المراقبة) يرى انها متعددة بناءا على ان الظواهر أصلا قائمة على التعددية بعد ان كانت محدودة ومنظمة و منفصلة ولكن هذه التجميعات الرقابية مكونة من التعددية من أشياء غير متجانسة من العناصر تكنولوجية (كاميرات ، بيانات و الذكاء الاصطناعي) عناصر مؤسساتية (الدولة و القطاع الخاص و

المنظمات الرقمية) عناصر سلوكية (الممارسات والامتثال الاوامر المراقبة الذاتية وتعمل هذه العناصر كيان وظيفي كامل . (Ericson 2010)

المطلب الثاني: مفهوم مجتمع الشفافية عند بيونغ تشول هان

(Transparency) ان هذه كلمة في اللغة الإنكليزية لاتحمل جذرا اصيلا في اللغة ولكنها دخيلة عليها عبر اللغة الفرنسية من خلال اللغة اللاتينية من الفعل اللاتيني (transparere) المركّب من أداة الجوار trans بمعنى عبر أو خلال والفعل parere بمعنى يظهر أو يبدو ، فيكون المعنى الحرفي للفعل هو "الظهور من خلال الشيء . ان صفة transparent دخلت الإنجليزية في أواخر القرن الرابع عشر بمعناها الفيزيائي المحض – وصف المواد التي ينفذ منها الضوء – قبل أن يتسع استعمالها تدريجيًا في القرنين الأخيرين لتشمل الدلالة المجازية المرتبطة بالوضوح المعرفي والمؤسسي والسياسي، وهو المعنى الذي بُني عليه المصطلح المشتق transparency. (1879 and Oxford University Press n.d.)

ان مجتمع الشفافية عند هان نتاج لحظة تاريخية مغايرة بعد عقود من التحول الرقمي وسائل التواصل الاجتماعي وبعد فضائح المراقبة الجماعية التي كشفها ادوارد سنودن عام ٢٠١٣ التي بدورها طورت الجدل حول دود الخصوصية في العصر الرقمي كتب سلسلة من الاعمال النقدية التي تشخص ما اسماه بالنيوليبرالية النفسية حيث كان صعود النيوليبرالية كنموذج اقتصادي وسياسي منذ نهاية سبعينيات القرن العشرين برزت الشفافية كواحدة من القيم المركزية التي يروج لها في الخطاب العام، يقدم الشفافية على انها تمثيل وتجسيد للمساءلة والوضوح ومحاربة الفساد وضمانة للديمقراطية، ان الخطاب النيو ليبرالي كما يرى الكثير من المفكرين يخفي ابعادا أيديولوجيا تحاول إعادة انتاج السيطرة لا مقاومتها. يبني

بيونغ هان تصوراته الفكرية عن مجتمع الشفافية بوصفه بأنه "مجتمع الإيجابية". (هان ٢٠١٩، ١٣) المجتمع الذي يخلو من السلبيات التي تعيق عمل هذا المجتمع ، ان هذا السلبية تعمل على تفكيك وتقويض ما يسميه المجتمع الإيجابي ، تتضح شفافية الاشياء بكل دقة عندما تتخلص من السلبية ،ان ورود مصطلحين مثل الإيجابية و السلبية ، هذا يظهر هان تأثره هنا بفلسفة هيغل ومدرسة فرانكفورت وبالأخص بـ الفيلسوف هربرت مركوزا الذي ميز بين التفكير الإيجابي و التفكير السلبي حيث بين ان السيطرة ومبادئها أصبحت اكثر تطور من اشكال السيطرة السابقة الكلاسيكية من خلال تغيير المبادئ الإنسانية للسيطرة وانتصار الفكر الإيجابي الأحادي الجانب. (ماركوزا ١٩٨٨، ١٨١-١٩٥)

يرى ان الشفافية تعني "الاقتراب التام وتقليص المسافة ". (هان ٢٠٢١، ١١٤)

فالشفافية في الإطار النيوليبرالي لم تعد تحرر الانسان بل لتحويله الى كائن مراقب ذاتيا مرئيا قابل للتقييم والقياس، ان النظام النيو ليبرالي لا يحكم عبر المنع والحظر، انما من خلال ما يسميه العنف الشفاف لا يمارس بالأكرة بل بالإغراء.

يرى بيونغ تشول هان الشفافية لا تقوم بإلغاء السلبية فقط ولكنها نظاما قهريا يدخل في العمليات والحياة الاجتماعية كافة انه لا يرتبط فقط بالفساد والحرية في تداول المعلومات، يرى بانه مجتمع تواصلي – تحولي قائم على التفاعل الإيجابي بين مجموعات متشابه طارد للسلبية المرتبطة بالنقد وجدل والاختلاف ومن خلال القضاء على الاخر وكل العمليات التي تعرقل سير التواصل والتحول من خلال تعبئة عناصر منها اللغة، تكون اللغة فيها آلية خالصة واحدة خالية من التناقض. (هان ٢٠١٩، ١٥-١٦) نلاحظ مما سبق ان كلما زادت الإيجابية زدا معدل الشفافية، المجتمع الإيجابي هو مجتمع شفاف، الشفافية تساوي الإيجابية المجتمع الشفاف يعمل في داخل عناصر الإيجابية، اذن الشفافية ولإيجابية متلازمان في

علاقة تكاملية كل منهما الاخر. يرى بيونغ ان خطر وعنف الشفافية يكمن في جعل الانسان هش ضعيف مطيع ويتحول الى مجرد عنصر وظيفي داخل النظام. (هان ٢٠١٩، ١٧) من ما يسهم في ان يقضي على الخصوصية ويسميها أيديولوجيا ما بعد الخصوصية، الشفافية لا تتفق مع الحقيقة لأنها ترى في الحقيقة قوة سلبية تتعارض معها، وانها تعمل على استقرار النظام بكونها خالية من السلبية وهذا يتجسد في سياسية الفيسبوك من خلال الضغط فقط على (اعجبني) دون أتاحه (لا يعجبني) انها نظام أيديولوجيا فرضه املاءات قوى السوق النيو ليبرالية من صفاته الشمولية والتحول والتواصل بعيد عن السلبية . يطرح بيونغ تشول هان مجتمع الشفافية بأنه مجتمع الإنجاز " لم يعود مجتمع القرن العشرين مجتمعا تأديبيا بل هو مجتمع الإنجاز " (هان ٢٠٢١، ١٩)

يسعى مجتمع الشفافية (الإنجاز) الى تخليص المجتمع من السلبية من خلال مضاعفة عملية التحرر من القيود وتتلخص طبيعة هذا المجتمع من التأكيد على إمكانية الفعل (هان ٢٠٢١، ص ٢٠)

يرى بيونغ تشول هان ان هذا التحول من المجتمع التأديبي لفوكو الى مجتمع الإنجاز في مضاعفة الإنتاجية يعكس اللاشعور الاجتماعي ، أي بعد الوصول الى قدر كبير من الإنتاجية يعمل المخطط الإيجابي على دفع السلبية الحظر من التوسع أي ان (يمكنك فعل ذلك) الى (ينبغي) الخاصية الأكثر فاعلية في مجتمع الإنجاز. (هان ٢٠٢١، ١٦)

من ما يوجه بيونغ تشول هان للشفافية من نقد يرى بأنها في جوهرها لا تنسجم وطبيعة السياسة والسلطة حيث ان كلا الامرين يحتاجان الى السرية و الكتمان عكس الشفافية تعمل على تفكيك هذا المجال حيث ان الشفافية لا تحقق الامن خلال المراقبة الدائمة أي ان الشفافية لا تساوي السلطة والعكس مجتمع الشفافية

مجتمع معلومات حيث المعلومات تكون واضحة شفافة لكونها خالية من السلبية ولكنها معلومات فارغة. (هان ٢٠١٩، ١٥)

المبحث الثاني

التصورات النظرية للمقارنة بين المجتمعين وتحولاتها السياسية والاجتماعية

تعد مفاهيم الشفافية والمراقبة من ابرز المفاهيم الطاغية على التحليلات الفلسفية والسياسية وذلك لما تعكسه من تحولات عميقة في طبيعة السلطة والعلاقات الاجتماعية في العصر الرقمي حيث ركز ميشيل فوكو على المراقبة بوصفها أداة انضباطية تمارسها السلطة ، بيونغ تشول هان عمل على إعادة مفهوم المراقبة ضمن منطق الشفافية الطوعية التي تجعل الافراد يكشفون عن انفسهم دون اكراه مباشر وهذا التحول يعكس تغييرا جوهري في شكل السلطة وآلياتها ويطرح اسئلة حول الحرية و الخصوصية و السيطرة في المجتمعات المعاصرة ، ولهذا سنبين ذلك في ضوء المقارنة الفكرية بينهما.

المطلب الأول : المقارنة الفكرية بين مجتمع الشفافية ومجتمع المراقبة

ان كلا المفكران يحاولان تفسير كيف السلطة تمارس في العصر الحديث ولكن كل واحد منهما يصفها بزاوية مختلفة ، ان كلا النموذجين يظهر كيف تحولت أدوات السيطرة في المجتمعات المعاصرة من الرقابة الصلبة الصارمة الى الرقابة الناعمة السائلة ، وهنا تظهر خطورة التحولات السياسية و الاجتماعية فبينما نعتقد اننا اصبحنا اكثر شفافية و حرية ولكن الواقع المعاش هو اننا خاضعين بشكل كبير للأنظمة المراقبة و التحكم جديدة ، حيث ان الحداثة المعاصرة لم تلغي القمع

بل اعادت تشكيله بأساليب اكثر دقة وخفاء. بناءا على ماسبق اذا اردنا ان نعمل مقارنة بين المفهومين فأن :

النقاط	مجتمع الشفافية	مجتمع المراقبة
نوع السلطة	ناعمة إيجابية	قمعية \ تأديبية
وسائل السلطة	الرقابة الذاتية الرقمية	المراقبة الخارجية المؤسسات
علاقة الفرد بالسلطة	خضوع طوعي باسم الحرية	خضوع قسري
الهدف	الأداء و الإنتاجية	الانضباط و السيطرة
شكل المقاومة	مقاومة الاستغلال الذاتي و الشفافية المطلقة	مقاومة الأطر المؤسسية

وعلليه يجري بيونغ هان بين ما يسميه مجتمع الإنجاز ومجتمع التأديبي لفوكو حيث يرى ان المجتمع التأديبي لفوكو يكون داخل المستشفيات والمدارس و المصانع والجامعات ، و مجتمع الإنجاز يكون مجتمع صالات اللياقة البدنية والمكاتب والبنوك والمطارات ومراكز التسوق ، افراد المجتمع التأديبي ذوات قابلة للتشكل ، ذوات مجتمع الإنجاز يديرون انفسهم بنفسهم ، مجتمع التأديبي سلبي متمثلة في سلبيته الحظر الأداة الشكلية السلبية التي تحكمه هي الأداة النهي (لا) ، مجتمع الإنجاز يسعى للتخلص من السلبية بشكل مضطرد بالتأكيد على الاداة الفعلية (اجل يمكننا فعل ذلك) حيث يستبدل المشاريع و المبادرات بالمحظورات والقوانين و الوصايا ، سلبية المجتمع التأديبي المحكوم بالأداة (لا) ينتج المجرمين والمجانين ، سلبية مجتمع الإنجاز المحكوم بـ الاداة (نعم يمكنني) ينتج الاكتئاب والمرض .

(هان ٢٠٢١، ٢٠-٢٢)

ان صعود مفهومي الشفافية و المراقبة في الفكر المعاصر أدى الى تحولات في بنية الدولة و المجتمع و العلاقات الإنسانية ، ففي تصور ميشيل فوكو السلطة الحديثة تحولت من كونها قمعية الى سلطة انضباطية تعمل عبر المراقبة الدقيقة للأجساد و السلوك داخل المؤسسات مما ولد مجتمعا منضبطا ينتج ذاتا مطيعة ، و هذه المراقبة انتجت تحولات سياسية تمثلت في تعاظم دور الدولة في ضبط الافراد وتحويلهم الى رعايا يخضعون للمراقبة و القيم ، اما بيونغ تشول هان ان السلطة في المجتمعات النيوليبرالية الرقمية لم تعد تمارس من الخارج بل تنفذ من داخل الذات عبر الاليات الشفافية الطوعية حيث يدفع الافراد الى الكشف المستمر عن انفسهم في فضاءات الاتصال و التواصل الرقمي هذا أدى بدوره الى تأكل الحدود بين الحياة العامة و الحياة الخاصة و انهيار الخصوصية ، لذلك ان العلاقة بين المراقبة و الشفافية علاقة جدلية يمكن ان توضح بأن الشفافية افقة وعكسية من السلطة الى الجمهور و المراقبة عمودية من السلطة الى الفرد من حيث الاتجاه ، اما من حيث التأثير الشفافية تدعم المساءلة والمراقبة تقييد الحريات من حيث الأخطر الكشف و التعرية للافراد والمراقبة انتهاك للخصوصيات و من حيث المفهوم مرتبطة الشفافية بالحكم الصالح و المراقبة مرتبطة بالسيطرة.

المطلب الثاني : التأثيرات السياسية والاجتماعية لمجتمع الشفافية والمراقبة

تعد مفاهيم الشفافية و المراقبة من ابرز سمات المجتمعات الحديثة خاصة في ظل التطورات التكنولوجية و الرقمية في ظل العصر الرقمي رغم ان كلاهما يبدو من الظاهر كأداة لتعزيز العدالة و المساءلة الا ان تطبيقهما المفرط يؤدي الى تداعيات ذات معامل سلبي اجتماعيا سياسيا على الإنسانية احد ابرز تلك التحولات التأثيرية هي **انتهاك الحقوق والحريات الفردية** التي لا طال ما اكد عليها مجتمع الإنسانية المعاصر منذ ان افتتح جان جاك روسو كتابه (العقد الاجتماعي او

مبادئ الحقوق السياسية) بأعلانه المعروف ((يولد الانسان حرا ، ويوجد الإنسان مقيد في كل مكان وهو يظن انه سيد الآخرين وهو يظل عبدا اكثر منهم)). (روسو ٢٠١٤، ٤٠)

ويرى بعض الباحثين في نقدهم التهكمي لفكرة العبارة السابقة و ليكون اكثر انسجاما مع الوضع الراهن القائم على المجتمع الرقمي الالكتروني نقوم بأستبدالها عبارة أخرى" يولد البشر احرار ولكنهم مراقبون الكترونيا".

(Ericson 2010 ،605-622) .

وتشمل هذه الحقوق الحق في الخصوصية و حرية التعبير و الوصول الى المعلومات و الامن و الملكية الفردية و عدم الكشف عن الهوية ، بالرغم من ان المواثيق الدولية تنص على حمايتها الا ان الكثير من الدول تعرض هذه الحقوق و الحريات الى التهديد ، اما بسن تشريعات تقيد هذه الحقوق و الحريات او تستخدم تقنيات مراقبة متطورة لمراقبة و رصد الأنشطة وهذا يسهم في استمرار الانتهاكات و تآكل للحريات و الحقوق، لذلك فأن انتهاك الحقوق الرقمية في الكثير من الدول وتهديد كبير للحرية في الفضاء الالكتروني ويقوض المبادئ الديمقراطية و حقوق الانسان. (صالح ٢٠٢٤) **سوف نتناول تأثير المجتمعين على الحقوق و الحريات ومنها حق الخصوصية .**

أولا: تأثير مجتمع المراقبة والشفافية على الحقوق و الحريات

تسبب كل من مجتمع الشفافية و المراقبة في تقويض جوهر الحريات و الحقوق من خلال تعريض الافراد لانكشاف الدائم وفرض رقابة ذاتية واسعة النطاق وإعادة انتاج الطاعة الاجتماعية بأدوات تقنية اجتماعية ، حيث ان المجتمعين يشكلان تحدي حقيقي للحقوق و الحريات الفردية في العصر الرقمي ، حيث تعمل آليات راسمالية المراقبة على تجاوز وعي الافراد ويشكل سلوكهم بشكل لا شعوري

ويتمثل هذا تحولا جذريا في ممارسة السلطة من الموافقة الديمقراطية الى تعديل السلوك من التعبير عن الإرادة .

(zuboff, ٢٠١٩)

ان تقدم الفكر الإنساني من قيام الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر ما رافقه من تصاعد في التطور التكنولوجي الرقمي في مجال المعلومات و الاتصالات وسائل الاتصال ، لكن هذا التقدم لأزمه تمظهرات سلبية انعكست على حياة الإنسانية ، حيث يشهد العلم في العقود الأخيرة نقلة في التحول او ما يسمى بالتطبيع من المراقبة الموجهة الى المراقبة الجماعية ان الدول ما تزال تعمل على محاولات دمج المعلومات العامة و الخاصة للافراد دون مراعاه لقوانين الخصوصية و الحق في الحرية و الحقوق ، هذا يقود الى ما يسميه بعض الباحثين بـ (ديمقراطية المراقبة) المقيدة الحقوق ، هنا تظهر الإشكالية الأخلاقية فـ الاشخاص لا يراقبون فقط ، انما يحدون و يوثقون بملفاتهم الشخصية ونشاطاتهم الى بيانات قابلة للقياس وهذا يعرض الافراد الى المراقبة الدائمة المستمرة من قبل الدول والمؤسسات العامة والخاص. (Mahapatra 2021)

ثانيا: تأثير مجتمع الشفافية و المراقبة على حق الخصوصية

ان فكرة منح الحق في الخصوصية فكرة قديمة تعود الى اول وثيقة ومدونة دستورية لحقوق الانسان المعروفة بـ (العهد القديم) التي تنازل بموجبها ملك بريطانيا عام ١٢١٥م عن جزء من سلطاته المطلقة فتعهد بعدم حبس او القبض على شخص الا بعد اصدار حكم من السلطة القانونية ومع دخول الموجة التكنولوجي الرابعة نعكس ذلك بتفاصيل دقيقة مفصلية في آليات الحكم و السلطة ومع ذروة العصر الرقمي لابد من وضع تقنيات للسيطرة عليها لما تحمله من مخاطر ، أدى الى ظهور خصوصية المعلومات١٩٦٨، بجهود الباحثين الامريكيين (آلن ويستون وميلر) بأعمالهم (الخصوصية و الحرية و الاعتداء

على الخصوصية من حق الافراد ان يحدُوا انفسهم متى و كيف و الى أي مدى يمكن المعلومات الخاصة بهم في ان يصل اليها الاخرين ، وحق الفرد في ان يضبط عملية جمع المعلومات ومعالجتها آليا وحفظها. (ربيعي ٢٠١٦، ٣١٤)

تستخدم الشفافية كوسيلة للرقابة الجماعية فكما يشير بيونغ تشول هان ان مجتمع الشفافية لا يحفز على الثقة ولكنه يولد مناخا من الارتباك و الشك و المراقبة الذاتية حيث يقوم الافراد بعرض ذواتهم باستمرار عبر وسائط التواصل التي تدفع الافراد الى تقيد سلوكهم ، ان الشفافية المفرطة تؤدي الى تآكل الخصوصية وتحول الحياة الخاصة الى عامة وهذا يتعارض مع الإعلان العالمي للحقوق الانسان من المادة ١٢ و٢ من الإعلان الذي يقول في المادة الثانية عشر(لكل إنسان حقُّ التمتُّع بجميع الحقوق والحرّيات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أيّ نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللون، أو الجنس، أو اللغة، أو الدِّين، أو الرأي سياسيًّا وغير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي، أو الثروة، أو المولد، أو أيّ وضع آخر) وفي المادة الثانية يقول (لا يجوز تعريضُ أحد لتدخُّل تعسُّفي في حياته الخاصة أو في شؤون أسرته أو مسكنه أو مراسلاته، ولا لحملات تمسُّ شرفه وسمعته ولكلِّ شخص حقٌّ في أن يحميه القانونُ من مثل ذلك التدخُّل أو تلك الحملات) (المتحدة ١٩٤٨) .

يتضح من ما سبق من خلال تحليل مفهومي المراقبة و الشفافية ان كليهما يحملان تأثير مزدوج على الحقوق و الحريات ، فالشفافية تحولت الى أداة للهيمنة حيث توظف للكشف المفرط عن خصوصيات الافراد وتقييد حرياتهم باسم الامن او الأداء ، اما المراقبة بعد ان كانت أداة تقليدية للضبط الاجتماعي تطورت الى نموذجها القمعي كما وصفه فوكو الى نموذج ناعم كما وصفه هان حيث يتحول الافراد الى شركاء مراقبة انفسهم بأنفسهم، وان مجتمع الشفافية لا يمثل قطيعة مع مجتمع المراقبة ولكنه امتداد له بأدوات اكثر خفاء وتعقيد تضفي على السيطرة

طابع ناعم وسلس يصعب مقاومته ، ان كلا النموذجين رغم اختلافهم في الأدوات والوسائط يلتقيان عن نقطة مركزي: إعادة انتاج السلطة تحت مظهر العقلانية والتقدم.

الخاتمة

في ضوء هذه البحث المقارنة بين تصورات ميشيل فوكو وتشول بيونغ هان حول المجتمع الحديث، يتضح أن كلا المفكرين قدّما رؤيتين نقديتين عميقتين عن آليات السلطة في العصر الحديث، لكن من زوايا مختلفة. فوكو ركز على "مجتمع المراقبة" حيث تتجسد السلطة في مؤسسات تنظم الأجساد وتراقبها بطرق مباشرة ومنهجية، بينما يرى تشول بيونغ هان أننا نعيش اليوم في "مجتمع الشفافية"، حيث تتحول المراقبة إلى طوعية، ويقوم الأفراد بكشف ذواتهم بأنفسهم، تحت شعارات الحرية والانفتاح، وبينما يُظهر فوكو كيف تمارس السلطة سيطرتها عبر التهذيب والانضباط، يكشف هان عن أشكال جديدة من السيطرة تقوم على الإغراء بالانكشاف، والمراقبة الناعمة التي تتسلل من خلال التقنية والإنتاجية الذاتية. هذه المقارنة تبرز تطور أشكال السلطة من العنف الخارجي إلى الضبط الداخلي، وتدفعنا للتفكير في موقع الفرد داخل أنظمة السلطة الحديثة.

التوصيات :

١- **توسيع النقاش الأكاديمي** حول تطور مفاهيم السلطة والمراقبة في العصر الرقمي، وربطها بالواقع اليومي الذي يعيشه الأفراد، خصوصاً مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي .

٢- **تعزيز الوعي الثقافي والنقدي** لدى الأفراد تجاه مفاهيم الشفافية والمراقبة الذاتية، لتفادي الوقوع في وهم الحرية المزيّفة التي قد تخفي أشكالاً جديدة من التحكم .

٣- **دمج أفكار فوكو وبيونغ هان في مناهج العلوم الاجتماعية**، لما تقدمه من أدوات تحليلية مهمة لفهم تحولات السلطة في المجتمع الحديث .

٤- **تشجيع الأبحاث المقارنة** بين مفكرين من خلفيات وسياقات ثقافية مختلفة، لفهم كيف تتقاطع الأفكار الفلسفية مع الواقع التكنولوجي والسياسي المعاصر .

٥- **إعادة النظر في استخدام البيانات الشخصية** والتقنيات الرقمية، من خلال تطوير سياسات تحمي الخصوصية وتعيد التوازن بين الشفافية المطلوبة والمراقبة المفروضة .

المصادر باللغة العربية :

١- فوكو، ميشيل .2021 .يجب الدفاع عن المجتمع .ترجمة :نادر مصطفى السيد .القاهرة :دار الطليعة

٢- بيونغ هان، تشول .2021 .مجتمع الشفافية .بيروت :دار التنوير.

٣- بيونغ هان، تشول .2019 .السيكوبوليتيكا النيوليبرالية و تقنيات السلطة الجديدة . الدار البيضاء : مؤمنون بلا حدود للنشر و التوزيع

٤- بيونغ هان، تشول .2014 .مجتمع الاحتراق النفسي .بيروت :دار معنى للنشر.

٥- حسين، لؤي .2017 .الفرد كمشروع .بيروت :الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

٦- محمد، عبد الله" .2024 .متى تنتهي أزمة الثقة في الحكومات؟ "العربي الجديد.

٧- فوكو، ميشيل. ١٩٩٠. المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن. ترجمة علي مقلد. بيروت: مركز الإنماء القومي

٨- فوكو، ميشيل. ١٩٩٠. إرادة المعرفة. ترجمة نجيب العوفي. بيروت: مركز الإنماء القومي

٩- فوكو، ميشيل. ١٩٩٤. تاريخ الجنسانية: ارادة المعرفة . ترجمة نجيب العوفي. بيروت: دار التنوير

١٠ - بيونغ هان، تشول. ٢٠٠٣. مجتمع الشفافية. ترجمة نادر مصطفى السيد. بيروت: دار التنوير
١١- هابرماس، يورغن. ١٩٨٨. الخطاب الفلسفي للحداثة. ترجمة فالح عبد الجبار. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية

المصادر باللغة الانكليزية

1. **Online Etymology Dictionary.** 2001. *Origin and History of Surveillance*.
2. Haggerty, Kevin D., and Richard V. Ericson. 2010. *The Surveillant Assemblage*. *The British Journal of Sociology*.
3. Mahapatra, Sangeeta. 2021. *Digital Surveillance and the Threat to Civil Liberties in India*. Hamburg: GIGA Institute. https://www.giga-hamburg.de/en/publications/giga-focus/digital-surveillance-and-the-threat-to-civil-libe.
4. Zuboff, Shoshana. 2019. *The Age of Surveillance Capitalism*. New York: Public Affairs.
5. United Nations. 1948. *Universal Declaration of Human Rights*. https://www.un.org/ar/about-us/universal-declaration-of-human-rights— Michel Foucault. Discipline and Punish: The Birth of the Prison, Beirut: Arab Cultural Center.
6. Michel Foucault. 1990.The History of Sexuality, Beirut: Arab Cultural Center,.
7. Byung-Chul Han. 1994. The Transparency Society, Beirut: Arab Cultural Center.
8. Byung-Chul Han. 2019. Psychopolitics: Neoliberalism and New Power Techniques, Casablanca: Mu'minun Bila Hudud for Publishing and Distribution., ,
9. Herbert Marcuse. 1988. One-Dimensional Man, translated by George Tarabishi, Beirut: Arab Institute for Studies and Publishing,.

10. Lewis, Charlton T., and Charles Short. 1879. A Latin Dictionary: Founded on Andrews' Edition of Freund's Latin Dictionary. Oxford: Clarendon Press Oxford University Press. n.d. "Transparent, Adj." OED Online. Accessed June 20, 2026. https://www.oed.com